الكتاب الرابع

نؤمن بإله واحد

ابن الإنسان

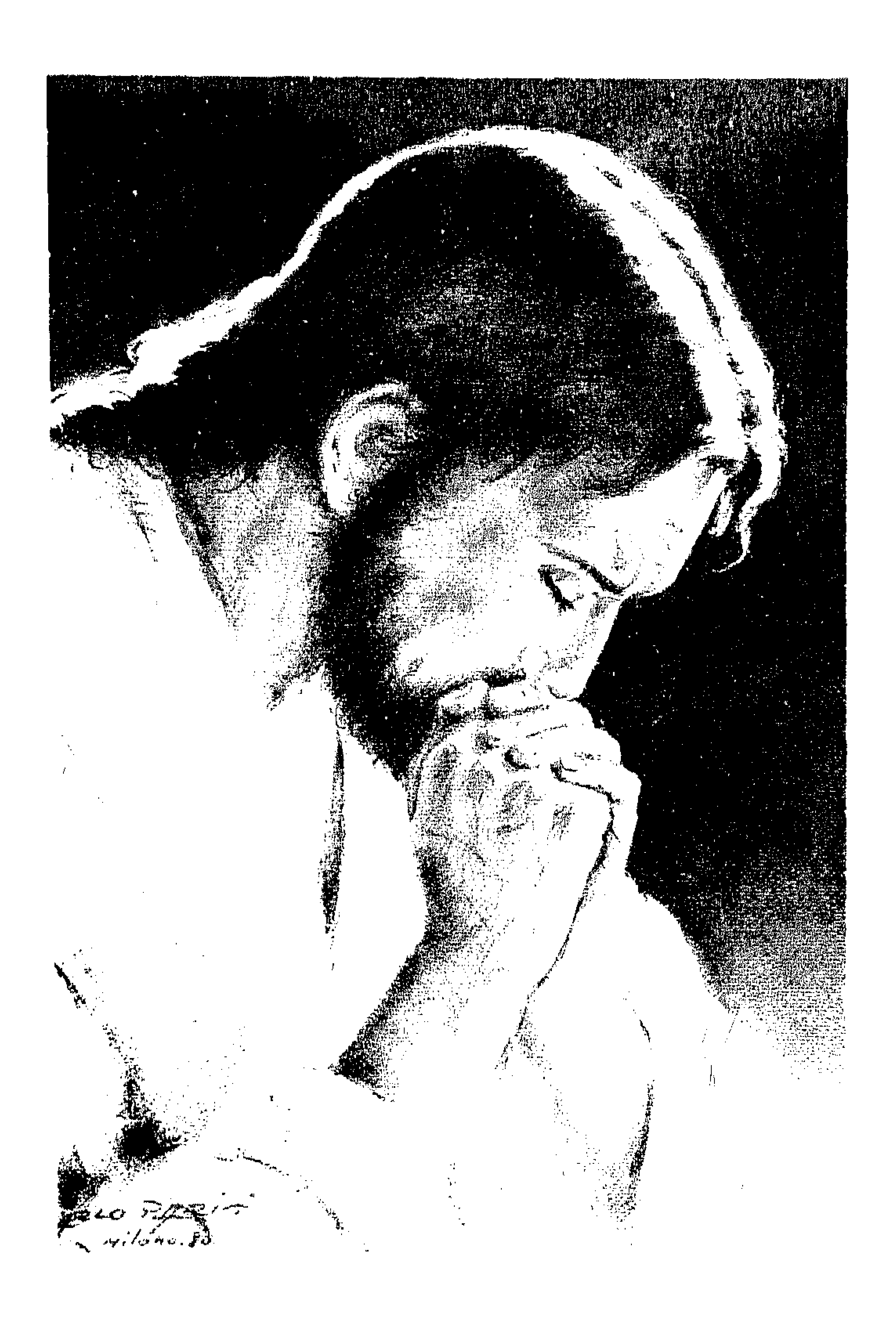
القمص بيشوي كامل

الكتاب الرابع

نؤمن بإله واحد

٤- ابن الإنسان

القمص بيشوي كامل



مقدمة

لقد تحدثنا فى **الكتاب الأول** عن عقيدة **التوحيد** ـ وأن السيد المسيح هو كلمة الله الذى تنبأ عنه الأنبياء .

ثم تحدثنا **فى الكتاب الثانى** عن سبعة علامات على **لاهوت السيد المسيح** .

وفى الكتاب الثالث تحدثنا **عن شهادات الله لإنجيله** .

وفى الكتاب الرابع نتحدث فيه عن **الهدف من تجسد المسيح** . والسبب فى ذلك أن سألتنى إحدى بناتنا بالجامعة أنها قرأت إن كان المسيح إلهاً فلماذا جاع وتألم وصلب ... إلخ .

أما **الكتاب الخامس** فنتحدث فيه عن موقف يوحنا المعمدان من السيد المسيح وخاصة بعدما أثير حوله من الكلام فى هذا العام على صفحات المجلات والصحف ، وأنه لم يبشر بمجىء السيد المسيح .

إبنُ الإنسان

أو

لماذا تجسّدَ المسيحُ؟

الإلــه المجهـول

بينما كان القديس بولس الرسول يجتاز فى شوارع أثينا وجد معبداً - مذبحاً - مكتوباً عليه لإله مجهول . عندئذ فتح فاه وقال لهم « فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به ... » (أع ١٧ : ٢٢ - ٣١) .

ولقد كان أغلب الناس قبل التجسد الإلهى يتقون الله الذى يجهلونه ، يؤدون فروض الصلاة والصوم والعبادة لإله مجهول . ولقد كانت أقصى معرفة لله تتم عن طريق وسيط (نبى) ، كما كان يكلم الله موسى ... ثم يكلم موسى بدوره الشعب . لكن شتان بين كلمات موسى عن الله فى العهد القديم ، وبين قول يوحنا الحبيب فى عهد النعمة « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة » (١يو١ : ١) . وينتقل الرسول بولس فى المعرفة ليس لمجرد المشاهدة ولكن إلى حد الشركة فيقول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فى ١ : ١) .

والبحث عن معرفة الله أمر طبيعى فى كل إنسان ، فعندما

خلق الله الإنسان نفخ فيه نسمة حياة (تك ٢ : ٧). هذه النسمة الصادرة من الله هى أساس الدافع للبحث عن الله. فكل إنسان يبحث عن **إله المجهول**... يسأل عنه الأنبياء، أحياناً يراه فى الأخلاق والضمير، وأخرى يبحث عنه فى كتب الفلاسفة والعلماء، أو يراه فى قوى العلم والطبيعة... وأخيراً يكتشف الإنسان أن بحثه وعبادته **ليست إلا جهداً عقلياً لوصف إله مجهول**، يعجز تماماً عن الالتقاء به والتلامس معه.

لكن إلهنا الذى أحبنا ـ لما رأى عجزنا وفشلنا فى إدراكه صار إنساناً مثلنا، فأخذ الذى لنا وأعطانا الذى له. هذا هو الإله الذى نحبه ونعبده ـ هذا الذى لمسته أيدينا، وهذا هو الذى أحبنا و بذل ذاته عنا.

« كلمة الله صار جسداً » (يو ١ : ١٤).

+ كلمة الله **أزلى** « فى البدء كان الكلمة » (يو١ : ١).

+ كلمة الله **خلق به كل شىء « كل شىء به كان »** (يو١ : ٣).

+ أنزل الله كلمته على الأنبياء.

+ أرسل الله كلمته لموسى ـ **ثم كتبها** له على لوح من الحجر « المكتوبة بأصبع الله ».

« **وفى ملء الزمان** » (٤ : ٤) .

« الله بعد ما كلم الآباء **بالأنبياء** قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه ... الذى به أيضاً عمل العالمين (كل شىء به كان) الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء **بكلمة** قدرته » ... (عب ١ : ١ - ٤) .

+ فالكلمة التى أرسلت **قديماً** للأنبياء ، هى بعينها مصدرها الكلمة الذى صار جسداً . فالكلمة التى تجسمت على لوحى العهد أيام موسى النبى كانت إشارة للكلمة الذى صار جسداً فى ملء الزمان .

+ الكلمة التى أرسلها الله للأنبياء قديماً ، تظهر لنا عندما يقول السيد المسيح « من الآب خرجت » .

+ كان النبى فى القديم يقدم كلمة الله للناس ويقول لهم « **الله يأمركم بـ** ... » ولكن لما أخذ الكلمة جسداً كان يقول « أنا أقول لكم » ... كما حدث فى الموعظة على الجبل « سمعتم أنه **قيل** للقدماء لا تقتل ... **أما أنا** (يسوع المسيح الكلمة المتجسد) **فأقول** لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم » . « قد سمعتم أنه قيل لا تزن **أما أنا فأقول** لكم إن كل

من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زني بها فى قلبه» (مت ٥ : ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨) .

« كلمة الله قد أظهرت لنا » (١يو ١ : ٢) .

كلمة أزلية - وفى ملء الزمان أظهرت لنا . ونسوق هذا المثال من الراديو والتليفزيون للتقريب * : فالكلام والصور تنقل لنا عبر الأثير فى موجات مختلفة- وهذه تحيط بنا من كل مكان وتملأ بيوتنا ولكننا لا نراها أو نحس بها بحواسنا الخمس، ولكن عندما ندير مفتاح الجهاز نجد الكلمة حالاً ما تتجسد والصورة حالاً ما تظهر، والذى كنا من لحظات لا ندركه صرنا ندركه . ومع بعد الفارق فى التشبيه . فكلمة الله أزلية ، ولكن فى ملء الزمان أظهرت لنا فى جسد أخذه الرب من السيدة العذراء .

ولكن كيف تحد كلمة الله غير المحدودة بجسد إنسان ؟

كلمة الله غير مادية لذلك فهى لا تخضع للمقاييس المادية . وكل شيء يقاس بمقياس من نوعه ، فالأطوال تقاس بمقياس طولى هو المتر، اصطلح العلماء أن يجعلوا له نموذجاً محدداً من ساق من البلاتين فى متحف لندن وسموه المتر، والأوزان تقاس بالكيلو والحجوم تقاس بالمتر المكعب وهكذا ... أما الله فروح ، وكلمته

ليست مادية . وكما أننا نخطىء إذا حاولنا قياس الطول بالكيلو كذلك فنحن نخطىء عندما يخضع كلمة الله لمقاييس الحجوم ونحدها ببطن العذراء وجسدها . لذلك ينبهنا الرسول بأن الله روح « قارنين الروحيات بالروحيات » . فالسؤال الذى يقول كيف يحد كلمة الله غير المحدودة بجسد العذراء ، سؤال خطأ من مبدئه كالذى يقول كيف لا نقيس الحجوم بالكيلوجرام .

الله واحد :

الله موجود بذاته .
ناطق بكلمته الإلهية . الإله الواحد بذاته وكلمته وروحه
حي بروحه القدس الإلهي .

هذا هو الإله **الواحد المثلث الأقانيم** (ذاته وكلمته وروحه). هذا الإله الآب الذى أحبنا فأرسل كلمته الأزلى فأخذ جسداً ، وأرسل روحه فسكن فينا. الآب قديماً أرسل كلمته إلى موسى وكتبها (تجسمت) على لوحى العهد ، أما فى العهد الجديد فتقول الكنيسة «حجر العذراء المكتوب عليه صورة مخلصنا» (الأبصلمودية الكيهكية ص ٧٩٥) .

الإنسان له إمكانية الإيمان بالتجسد الإلهى من خارج الإنجيل :

هذه حقيقة تاريخية ظهرت عبر الأجيال الكثيرة. ظهرت فى حياة الإنسان النقى القلب. ظهرت عندما يخلو الإنسان لنفسه وتصفو الروح ، فالإنسان الروحى له إمكانية الوصول لله بعكس الإنسان المادى :

١ ـ فى العقل المصرى القديم : معروف أن قدماء المصريين كانوا يعبدون الله عبادة طاهرة بعيدة عن الشر، كانوا يؤمنون بالقيامة والحياة الأخرى ـ ومن خلال تأملاتهم الصافية وصلوا إلى إمكانية التجسد الإلهى فيقولون إن الإله حار محب ـ حُبل به بواسطة روح آمون ـ وحبل به فى عذراء . كذلك يتحدثون عن الإله بتاح ـ إله الخلقة ـ الذى نفخ روحه القدوس فى بقرة عذراء فولدت الإله أبيس .

٢ ـ فى العقل اليونانى الفسلفى : لقد أجهد أفلاطون عقله فى إدراك الله ـ وعندما عجز عن إدراكه طلب من الله أن يعلن له ذاته بنزوله ـ أو بإرساله إبنه ليعرفه عنه .

٣ ـ فى الفكر الوثنى : القديس أوغسطينوس يذكر فى أعترافاته أنه بحث عن الله فى كل مكان ـ فى كتب الفلاسفة ، وفى الطبيعة ، ... ولكنه لم يجد الله لأن الله كان فى داخل نفسه ـ عميقاً جداً أعمق من نفسه . لذلك عندما كف عن البحث الخارجى ، وخلا إلى نفسه ، وصل إلى إمكانية حلول الله فى أعماق نفسه .

٤ ـ فى الفكر التصوفى : المتصوفون هم أقرب الناس للإيمان بحلول الله ، لأن المتصوف إنسان يخلو مع ذاته فيشعر بحقارتها أمام

الله ، عندئذ يطلب معونة الله ويصل للحقيقة : أن الإله يقدر أن **ينزل للإنسان ويأخذ جسده ولكن الإنسان يعجز عن أن يمسك الله بفكره**، وهذا ما سجله لنا ماسويه الفرنسى عندما نشر قصة الحلاج المتصوف الذى عاش فى القرن العاشر فى بغداد... وتتلخص هذه القصة فى أن الحلاج من كثرة اختلائه بنفسه وتأمله فى حقارة ذاته وحاجتها لله ـ نادى بعقيدة الحلول (حلول الله فى البشر)، كضرورة للحياة.

٥ ـ **فى الفكر اليهودى** : كان الفكر اليهودى قديماً يتركز فى إمكانية وجود الله مع الإنسان ـ وإمكانية التحدث معه . لذلك نرى أن داود الملك والنبى يطلب من الله أن يبنى له بيتاً (مسكناً) لكى يتحدث معه فيه ـ بعد أن يحل الله فيه . والفكرة الأساسية فى بناء الهيكل هو أن يحل الله بين البشر **ولعل هذا الفكر هو الذى سيطر على جميع الديانات فى بناء بيوت الله .**

٦ ـ **فى فكر الأنبياء** : لقد تحدث الأنبياء عن تجسد السيد المسيح من العذراء قبل مجيئه بآلاف السنين ـ تحدثوا بوضوح أكثر وضوحاً من الوضوح ذاته . ونذكر على سبيل المثال قول أشعياء النبى قبل تجسد المسيح بـ ٨٥٠ سنة «ها العذراء تحبل وتلد إبناً

وتدعو إسمه عمانوئيل (الله معنا) » (أش ٧ : ١٤) . وقوله أيضاً «لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرئاسة على كتفه و يدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (أش ٩ : ٦) .

أيهما أسهل :

قدرة الله لينزل بكلمته للإنسان ليعلن له ذاته، أم قدرة الإنسان أن يصعد بعقله لله ليدركه ؟

لو تخيلنا أباً عالماً باللغات وله طفل صغير: هل الأسهل أن ينزل الأب ليتكلم مع الطفل بلغة بسيطة دارجة ـ لغة الطفل ، أم أن يتكلم الطفل مع الأب بلغة فصحى و بلغة الأب . هذا مع بعد الفارق بين فصاحة الأب والله غير المحدود . كذلك بين الطفل والإنسان التائه فى غر بة هذا العالم العاجز أمام أبسط الأمور.

لذلك يقول الرسول «لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة ـ استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة» (١كو١ : ٢١) . فواضح من كلام الرسول أن كبرياء الإنسان واعتزازه بحكمته هو الذى وقف حائلاً أمامه فى إدراك **الإله الوديع المتواضع** . الله بسيط لم يأت للفلاسفة فقط ، الله متواضع

لم يأتِ للعظماء فقط ، الله فقير لم يأتِ للأغنياء فقط ، الله ظهر فى جسدنا ـ جسد الغنى والفقير، الفيلسوف والبسيط ، الإنسان الأسود والأ بيض ... الله أحب العالم كله .

الإله المتجسد أحب الجميع ولم يرفض الخطاة ـ لذلك تكلم مع الخطاة .

الإله المتجسد جاء وديعاً ـ لذلك رفضه اليهود المتكبرون . الإله المتجسد جاء ليشهد للحق ـ لذلك رفضه اليهود المراءون . الإله المتجسد أحب الجميع وكره التعصب ـ لذلك كرهه اليهود وصلبوه .

اعتاد الإنسان أن يؤله الإنسان ـ لذلك يصعب على كبريائه أن يدرك الإله الإنسان . الإنسان يقبل بفكره أن يتأله ، ولكن كبرياءه ينكر قدرة الله أن ينزل فى المزود و يصير إنساناً .

لماذا تجسد الكلمة ؟

(١) أخذ جسدنا ليخلصنا :

يقول القديس يعقوب السروجي : « إذا أردت أن تنقذ غريقاً أو تنهض إنساناً مطروحاً ، فلا ينفع أن تقدم له النصيحة - بل عليك أن تخلع ثيابك وتلبس ثياب البحر (التي يلبسها الإنسان الغريق) - و بعد أن تنزل تقيمه معك » .

وهكذا نزل الله الكلمة ، وأخلى ذاته (خلع لباس مجده) - ثم لبس ثوبنا (أخذ جسدنا) - نزل إلينا نحن الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، نزل إلى الجحيم من قبل الصليب ليفك المسبيين - نزل ليأخذ مالنا و يعطينا ماله . نزل إلى عالمنا ليصعدنا معه « وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع » (أف ٢ : ٦) « أصعد باكورتى إلى السماء » .

القداس الغريغورى

وعندما يريد ملك أن ينقذ شعبه من عدوه الذى قوى عليه ، فإن هذا الملك يخلع ثوب الملك ، ثم يلبس لباس جنوده و يصير مثلهم ، ثم يقودهم فى حربهم مع العدو حتى يهزمه و ينتصر لجنوده

ثم يرجع بهم منتصرين ويحضرهم معه فى قصره وفى مجده . هذا هو إلهنا «الذى أخلى نفسه آخذاً صورة إنسان صائراً فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (فى ٢ : ٧ ، ٩) . «من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شيء لكى يكون رحيماً ... لأنه فيما قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢ : ١٧ ، ١٨) .

أخذ جسدنا ليعين المجربين :

«ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل إبنه مولوداً من إمرأة، مولوداً تحت الناموس ...» (غل ٤ : ٤) . ولد فقيراً فى مذود- **افتقر ليغنينا** «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو٨ : ٩) . **اتضع ليرفعنا إليه** «رفع المتضعين» (لو١ : ٥٢) . **نزل لأرضنا ليصعدنا لسمائه** «...آتى وآخذكم إلىَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤ : ٣) . ثم نما قليلاً قليلاً بشبه البشر بغير خطية وحده ... ومع أنه بغير خطية لكنه وقف فى صفوف الخطاة ليعتمد من يوحنا المعمدان لأنه شريك لأولئك الخطاة- ليس فى الخطية ولكن فى الجسد الحامل الخطية لأنه حمل الله حامل

خطية العالم كله. وبعد العماد صام **عنا ولنا ومعنا**، فشاركنا فى الجوع وأشبعنا بجسده وبكلمته.

+ أخذ جسدنا وصعد بروحه للجبل ليجرب من إبليس الذى طالما أذل الإنسان - **انتصر لنا فانتصرنا به**، وهزمه لنا فصار ذليلاً أمامنا. ويقول القديس يعقوب السروجى «كما أن الشيطان دخل الحية وخدع الجنس البشرى وأماته هكذا أراد الله أن يأخذ جسد الإنسان ويختفى فيه ليقبض على الشيطان الحية القديمة ويهلكه».

١ - «إن كل إنسان نخسه الشيطان ما خلا المسيح عيسى إبن مريم». فإبن الإنسان الكلمة المتجسد هو وحده الذى لم يقع فى قبضة الشيطان، لأن كل إنسان يأتى إليه الشيطان ليجربه، أما إبن الإنسان الكلمة المتجسد هو الذى صعد إلى الجبل ليواجه الشيطان بجسد الإنسان ويهزمه لحسابنا.

١ - طفولته :

عاش إبن الإنسان طفلاً فبارك الطفولة وقدسهـا، عاش طفلاً مطيعاً «كان خاضعاً لهما» (لو٢: ٥١)، عاش طفلاً رقيق المشاعر محباً لاصدقائه، أميناً للجميع، لم تخرج من فمه كلمة

خاطئة «لأنه وحده بلا خطية». عاش نموذجاً للطفولة الطاهرة البريئة النقية حتى سن خمسة عشر عاماً حيث عمل نجاراً أميناً مخلصاً فبارك العمل.

٣ ـ عمل نجاراً فبارك العمل، جاع فشاركنا فى الجوع، وأكل فبارك أكلنا، سهر فبارك سهرنا، ونام فبارك نومنا. شاركنا فى كل شيء، فلا قيمة لإله مجهول لا يشاركنا فى كل شيء **ما خلا الخطية، فهو** إبن البشر الذى بارك كل حياتنا، والذى يعين المجربين فى الإنسانية لأنه إبن الإنسان أخذ جسدنا **وعروه** ليغطى آدم الذى عرته الخطية من النعمة **وربط** نظير الخطية ألتى ربطت الإنسان... واحتمل البصق والسب والتجديف واللطم... وفى الجسد الذى أخذه منا احتمل ما يمكن أن تصنعه البشرية كلها من كل ألوان الجريمة والشر والسخرية...

٤ ـ فى جسدنا الذى أخذه منا حمل خطايانا على الخشبة، ودفع ثمن الخطية بفدائه نيابة عنا لأنه إبن البشر، يمثل البشرية كلها، وصرخ صرخة بشرية نيابة عن قصاص خطايانا كلنا. وهو وحده بين البشر والأنبياء الذى **ولد بلا خطية**، بل هو حمل خطايانا...

٥ ـ شارك بشريتنا فى الألم والبكاء والحزن على الخطية لأنه

إبن الإنسان وهرب من أمام شر هيرودس ليعلمنا أن قوة السيف ليست إلا الضعف بعينه ، ولكن الهروب من الشر ومحبة الأعداء هى القوة الحقيقية ، وليعلمنا أن الحرب الروحية مع الشيطان الذى يعمل فى هيردوس وفى حاملى السيف هى الحرب الحقيقية التى جاء من أجلها ليهزم الشيطان على الجبل و يسحقه بالصليب. وعلمنا الشجاعة وعدم الخوف أمام بيلاطس ورؤساء اليهود فى الوقت المناسب. فلم يهرب من الصليب ، لم يغضب قط بل صنع سوطاً وطرد باعة الحمام من الهيكل ولم يضرب أحداً.

٦ ـ صلى إبن الإنسان نيابة عن البشرية كلها ، وقضى الليل كله فى الصلاة ، لكى يعلمنا كيف تكون الصلاة. وهو الذى قال عن نفسه «أنا فى الآب والآب فىَّ من رآنى فقد رأى الله الآب». «أنا واحد فيك أيها الآب» فالبشرية كلها محتاجة لرصيد من الصلاة ، تركه لنا إبن الإنسان فى بنك بشريتنا ومحتاجة لتعلم نقاوة وصفاء الصلاة. فعلمنا إياها بقوله «يا أبانا الذى فى السموات».

(ب) وأعطانا الذى له :

١ ـ أعطانا نعمة البنوة لله :

السيد المسيح كلمة لله المتجسد . الكلمة المولودة من الآب ولادة أزلية إلهية . **هو ابن الله بالطبيعة ،** صار لنا **أخاً بكراً بالجسد ،** وبالتالى صرنا أولاداً للآب **بالتبنى .** «... مولوداً من إمرأة تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال **التبنى** . ثم بما أنكم **أبناء** أرسل روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً **أيها الآب** أبانا . إذاً لست بعد عبداً بل **ابناً** وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح» «فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلاً أخبر بإسمك **إخوتى** وفى وسط الكنيسة أسبحك ... من ثم كان ينبغى أن **يشبه إخوته** فى كل شىء» (عب ٢ : ١٠ ـ ١٨) .

لا تقل يا عزيزى أنك بشر ، بل قل دائماً «أنا إبن الله» . لا تنسى أنك تصلى كل وقت قائلاً «أبانا الذى فى السموات» .

لا تنسى دائماً أنك مولود من فوق بالمعمودية «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣ : ٢٧) . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح ... ينبغى أن تولدوا

من فوق» (يو٣ : ٦، ٧). والإنسان المولود من فوق من الله تكون آماله فوق، وخاضعاً لوصايا السماء، وقلبه مملوء اشتياقاً للسماء. من أجل هذا نعيش غرباء فى العالم لأن وطننا فى السماء. إن الرب يسوع بتجسده ولدنا للسماء وتبنانا «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن **يصيروا أولاد الله أى المؤمنين بإسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو١ : ١٢، ١٣). «ونحن نعلم أن من ولد من الله لا يخطىء** بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه» (١يو٥ : ٥ : ١٨). وهذا هو الدليل الذى نقدمه للعالم كإثبات أننا أولاد لله : «إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه» (١يو٢ : ٢٩).

يا أحبائى «انظروا أية محبة أعطانا الله حتى ندعى أولاد الله من أجل هذا لايعرفنا العالم لأنه لا يعرفه» (١يو٣ : ١).

٢ ـ عرفنا على الآب :

+ لقد ظل الإنسان سنين كثيرة يعبد الإله المجهول إلى أن جاء ملء الزمان فيقول القديس يوحنا «الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر» (يو١ : ١٨).

+ وعندما طلب فيلبس الرسول أن يرى الله ، قال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يا فيلبس . الذى رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أرنا الآب . ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ « ...صدقونى أنى فى الآب والآب فىَّ » (يو١٤ : ٨-١١) .

+ « أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم » (يو١٧ : ٦) ، « وعرفتهم إسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم » (يو١٧ : ٢٦) .

المعرفة الاختبارية لله :

ليست معرفتنا لله معرفة كتب وقراءة ، بل اختبار « نخبركم به » (١يو١ : ٣) .

+ **عرفنا محبة الله لنا فى إبنه** « وهكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو٣ ، ١٦) ، فمحبة الله لنا تعادل بذل إبنه لنا . إن صليب ربنا لم يكن مكاناً للعدل الإلهى فقط- بل للحب اللانهائى أيضاً « الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل٢ : ٢٠) .

لو قلت أيها الإنسان إن الله يحبنى لأنه يعطينى الصحة ، فهل معنى ذلك أن الله يكره المرضى ، وإن قلت إنه يحبنى لأنه يعطينى المال فهل الله يكره الفقراء ...

ولكننى كمسيحى أقول إنه أحبنى لأنه أسلم نفسه لأجلى- ولأنه بذل ذاته لأجلى . إن الحديث عن محبة الله خارج دائرة صليب ربنا يسوع لا يعدو أن يكون مجرد حديث لفظى ...

+ عرفنا **محبة الله للخطاة** فى معاملة ربنا يسوع لهم ، سمعنا عن حواره (يو٤) مع السامرية ، ورأيناه مدافعاً عن المرأة (يو٨) ، وشاهدنا المرأة الخاطئة واقفة من ورائه عند رجليه باكية تبلهما بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها (لو٧) .

+ عرفنا **عن مجد الله** عندما رأينا الرب على جبل التجلى وتغيرت هيئته وأضاء وجهه كالشمس (لو٩) و يقول عنه القديس بطرس الرسول «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ **عرفناكم بقوة ربنا** يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا **معاينين** عظمته ... إذ كنا معه فى **الجبل المقدس**» (٢بط ١ : ١٦ - ١٨) .

+ عرفنا **عن قوة لاهوته** عندما أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام (يو١١) وعندما أمر البحر أن يسكت وقال له ابكم (مر٤ :

٣٩). وعندما أشبع الخمسة آلاف بالخمسة الخبزات والسمكتين (مر٦: ٣٥- ٤٣)، وعندما كان يغفر الخطايا كإله (لو٧: ٤٨) وعندما كان يتكلم بسلطان وليس كالكتبة والفريسيين.

٣ ـ أعطانا أن نشاركه فى مجده :

+ « ... وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية ... » (٢بط ١ : ٣، ٤).

.+ أعطانا **جسده ودمه** «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير... كما أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب فمن يأكلنى يحيا بى» (يو٦ : ٥٤- ٥٧).

+ أعطانا كل ماله... أعطانا **روحه القدوس** «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من **السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه**» (لو١١ : ١٣). وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو١٤ : ١٦، ١٧).

الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو٨ : ٣٢).

+ **أعطانا أن نكون أعضاء فى جسده :** «ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح» (١كو٦ : ١٥). لذلك مع المسيح قد اختبرنا الموت عن العالم «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» (غل٢ : ٢٠) «لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبهاً بموته» (فى٢) «أقامنا **معه** وأجلسنا **معه فى** السماويات فى المسيح يسوع» (أف٢ : ٦). «فدفنا **معه** بالمعمودية للموت ... لأنه كما صرنا متحدين **معه** بشبه موته نصير أيضاً بقيامته. فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه». (رو٦ : ٣ - ٨) فواضح أننا أخذنا قوة الموت عن الخطية من موت الرب يسوع عنا، وأخذنا قوة القيامة من قيامة الرب عنا.

« هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس
وجعلنا واحداً معه من قبل صلاحه
هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له
فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً »

ثاؤطوكية الجمعة

كيف تم الإتحاد :

إن اتحاد كلمة الله بجسدنا تم بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، كاتحاد النار بالحديد عند تسخينه. فالحديد المحمى يحتفظ بخواص النار وخواص الحديد.

بطن العذراء مريم هى المعمل الذى تم فيه التجسد الإلهى

المعمل الإلهى :

بهذا التعبير اللاهوتى العميق جداً تعرض الآباء القديسون لموضوع التجسد الإلهى. فبطن العذراء هى المعمل الذى تم فيه الاتحاد العجيب بين اللاهوت الذى لا يدنى منه- وبين البشرية الضعيفة ، وفى هذا تقول الكنيسة :

+ « السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق الذى للطبائع التى أتت معاً إلى موضع واحد بغير اختلاط » ثاؤطوكية الأربعاء .

+ « لأن غير المتجسد تجسد ، والكلمة تجسم، وغير المبتدىء ابتدأ ، وغير الزمنى صار زمنياً . غير المدرك لمسوه . والغير المرئى رأوه ، الله الحى صار بشرياً بالحقيقة » .

+ « الله المستريح فى قديسيه تجسد من العذراء لأجل خلاصنا » .

+ « الآب اطلع من السماء فلم يجد من يشبهك أرسل وحيده أتى وتجسد منك » . **ثاؤطوكية الأربعاء**

عجينة البشرية :

عندما أراد الله الاتحاد بالبشرية أخذ جسداً من العذراء مريم لقد عبر الآباء القديسون تعبيراً دقيقاً عن هذا الاتحاد ، اعتبروا أن البشرية كلها ـ نسل آدم وحواء ـ طبيعة واحدة ـ **عجينة واحدة** ـ ثم اختار الله جزءاً من هذه العجينة ليتحد بها ، وبهذا يكون قد اتحد بالجنس البشرى كله . وهذه العينة من العجينة أخذها من العذراء مريم ، وهذا الاتحاد تم فى المعمل (أى بطن العذراء مريم) .

+ «كل عجينة البشرية أعطتها (أى السيدة العذراء) بالكمال لله الخالق وكلمة الآب» ثاؤطوكية الخميس .

وبهذا تكون السيدة العذراء مريم هى التى قدمت العجينة البشرية للسيد المسيح .

العذراء عجينة وليست إناء

+ تأملوا يا أحبائى الفرق بين تعبير الآباء ـ والتعبير الدخيل إلينا من الغرب . الغرب ظنها إناء فأفسدوا كل بركات التجسد وبهذا يكون الإنسان بعيداً عن الإله المتجسد . لكن فكر آبائنا ركز على أن العذراء قدمت عجينة من لحمها ودمها للاتحاد باللاهوت وبهذا نحس بعمق ولذة روحانية تجسد المسيح الذى أخذ جسدنا وصار واحداً منا .

+ وإذا اعتقد - أصحاب فكرة أن العذراء ليست إلا إناء، أنهم يقللون من كرامتها، فالحقيقة أنهم خسروا أعظم بركة من التجسد الإلهي- وهي أن الله دخل في نسبنا وصار واحداً منا «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما» (عب ٢ : ١٤). «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٣٠).

+ **والدة الإله** - لتثبت عقيدة التجسد والالتحام بجنسنا.

+ **باب السماء** - لأنها كانت أول إنسانة تلتحم بطبيعة الله السمائية- ومن بعدها صار لنا هذه الامكانية- فهي صارت لنا الباب الذي دخلنا به **لأعماق فكر التجسد الإلهي** من جنسنا.

« أي عقل أو أي قول أو أي سمع يقدر أن يدرك اللجة التي لا توصف التي لمحبتك للبشر يا الله. الواحد الوحيد الكلمة. المولود قبل كل الدهور باللاهوت بغير جسد من الآب وحده. هو ذاته أيضاً ولد جسدياً بغير تغيير ولا استحالة من أمه وحدها.

« يالعمق غنى وحكمة الله لأن البطن الواقع تحت حكم ولادة البنين بالوجع- صار ينبوعاً لعدم الموت، ولدت عمانوئيل بغير زرع بشر، ونهض فساد جنسنا »

ثاؤطوكية الخميس.

بركات التجسد من العذراء

أولاً : رفعت العذراء كرامة جنسنا :

كانت إنسانة مثلنا ، صارت أم الله ، صارت ملكة عن يمين الملك ، صارت أعلى من الشاروبيم وارتفعت فوق السيرافيم ، صارت سماء ثانية ، صارت كرسى الآب ، صارت أم النور...

+ صارت **أماً للنور** لأنه خرج منها شمس البر- وصرنا بالتبعية **نور العالم** .

صارت **سماء ثانية** ، لأنه سكن فيها الإله- فأعطتنا **أن نعيش فى السماء** « لأنك أنت السراط الحقيقى الصاعد إلى السموات » . **تذاكية الأحد** .

+ صارت **مسكناً للقدوس** ، نبعاً للطهارة ، فصرنا هياكل **للروح القدس** .

ثانياً : العذراء مريم أدخلتنا فى قرابة جسدية للرب يسوع .

للعذراء مريم أخت ـ هذه الأخت صارت خالة للسيد المسيح بالجسد ، وللعذراء مريم أقارب- وهؤلاء صاروا أقارب السيد المسيح بالجسد .

الإله غير المحدود دخل فى نسب عائلة من جنسنا ـ عن طريق العذراء مريم قريبتنا كلنا بالجسد، وهكذا تكوّنت الكنيسة المقدسة .

هذه العائلة صفتها الأولى **القداسة** «لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم قائلاً أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك ...» (عب ٢ : ١١ ، ١٢) .

هذه العائلة رأسها الرب يسوع ـ الأخ البكر «ليكون بكراً بين إخوة كثيرين» والعذراء مريم هى الأم ـ أما أطراف هذه العائلة فهم القديس يوحنا المعمدان والرسل والقديسين، ومعلمنا العظيم مارمرقس، والمحامى القديس أثناسيوس الرسولى، وعمود أرثوذكسيتنا كيرلس الكبير عمود الدين، وأولادها الشجعان مارجرجس ومارمينا وأبوسيفين والأمير تادرس، وعشاق بتولية العذراء القديسين أنطونيوس و بولا والأنبا بيشوى وأبو مقار .

وعندما قالوا للسيد المسيح «هوذا أمك واخوتك خارجاً يطلبونك . أجابهم قائلاً من أمى وأخوتى . ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى

وأختى وأمى» (مر٣ : ٣١- ٣٥) . وهكذا كشف الرب يسوع أن القرابة الجسدية لا تكفى إن لم تكن مصحوبة بالطاعة لمشيئة الله. وحيث أن العذراء مريم هى أكثر إنسان تمم مشيئة الله ، فهى بذلك تصبح أماً للعائلة المقدسة بالطاعة وبالجسد. وهكذا نرى يا أحباءنا أن انتسابنا للعائلة المقدسة يستدعى قداستنا «ونؤمن بكنيسة **مقدسة** جامعة رسولية» .

تدريب : هل فكرت فى عمل شجرة للعائلة ، تدون فيها أسماء أقاربك القديسين وتتعرف على تاريخهم وتحتفل بأعياد نياحتهم واستشهادهم... ابدأ من اليوم بكتابة هذا السفر الجميل وعرف أولادك به وقل لهم هذه هى عائلتنا الحقيقية التى بدأت بالتجسد من أمنا القديسة مريم العذراء.

التجسد موضوع تأمل الكنيسة عبر الأجيال

+ **العليقة** : التى رآها موسى النبى كانت رمزاً للعذراء مريم . النار تشعل فيها ولا تحترق ، مثال أم النور مريم حاملة اللاهوت دون أن تحترق .

+ **العذراء رائحة البتولية** : رأى حزقيال النبى بتوليتها الدائمة فى شكل باب دخل منه الرب الإله **ـ ولا يدخل منه إنسان ـ** فيكون مغلقاً (حز ٤٤ : ١ ، ٢) .

+ تفنن موسى فى التعبير عن **طهارتها** : فشبهها بتابوت العهد المصنوع من الخشب الذى **لا يسوس** (رمز الطهارة) . وغطاء التابوت مصفحاً **بالذهب** (والذهب رمز الطهارة فى العذراء) . العذراء الطاهرة هى **قدس الأقداس** الساكن فيها القدوس .

+ **أما الحبل بلا زرع بشر** : فرآه موسى فى عصا هرون التى أزهرت بدون سقى .

+ **أما حمل العذراء للرب** : فرآه موسى فى شورية هرون الذهبية الحاملة جمر النار (جمر اللاهوت) .

+ أما رائحة **طهر العذراء :** فرآه موسى فى زهرة البخور ذو الرائحة الجميلة الخارجة من شورية هرون .

+ أما **حملها بكلمة الحياة :** فرآه موسى فى قسط المن الحامل للمن رمزاً للرب يسوع المن الحقيقى الذى كل من يأكل منه ينال حياة أبدية .

+ **أما الكلمة المتجسدة :** فرآه موسى فى كلمة الله المكتوبة بأصبع الله على اللوح المقدس- وفى هذا قالت الكنيسة «الألواح هى حجر العذراء المكتوب عليه صورة مخلصنا «الأبصلمودية الكيهيكية ص ٧٩٥) .

+ قال عنها سليمان إنها أخته وصديقته .

+ قال عنها داود إنها الملكة المشتملة بالذهب .

+ قال عنها داود إنها الأم صهيون تقول إن إنساناً وإنساناً حل فيها وهو العلى الذى أسسها » .

+ قال عنها داود إنها حمامة (مز٦٨ : ١٣) وسمتها الكنيسة بالحمامة الحسنة .

« ابن الله » - « ابن الإنسان »

ابن الله : كلمة الله الذى ظهر فى الجسد هو إبن الله **بالطبيعة** «إبن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب فى الجوهر. « قانون الايمان » .

فولادة الكلمة كولادة النور من النور. فهو مساو للآب فى وسمى إبن الله كقولنا مع بعض الفارق فلأنه تكلم ببنت شفتيه... فالله لم يلد ولم يولد ولادة تزاوجية ، ولكنها ولادة ذاتية ، هى ولادة الكلمة من الذات الإلهية ، كلمة الله الذى به خلق كل الأشياء ، لأنه حاشا لله أن يكون غير ناطق لحظة واحدة أو طرفة عين « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » .

إبن الإنسان : الكلمة المولود من الآب قبل كل الدهور **صار جسداً من أجلنا.** وهذا الجسد ولد مثلنا تماماً (بدون رجل- وبدون خطية) .

يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى كتاب تجسد الكلمة ،

أخذ جسدا مولودا من امرآة، لذلك كان طبيعاً أن يأخذ جسداً قابلاً للموت، لذلك مات المسيح. هذا الجسد بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعاً للفساد بمقتضى طبيعته، وهكذا أتم عملين عجيبين فى وقت واحد:

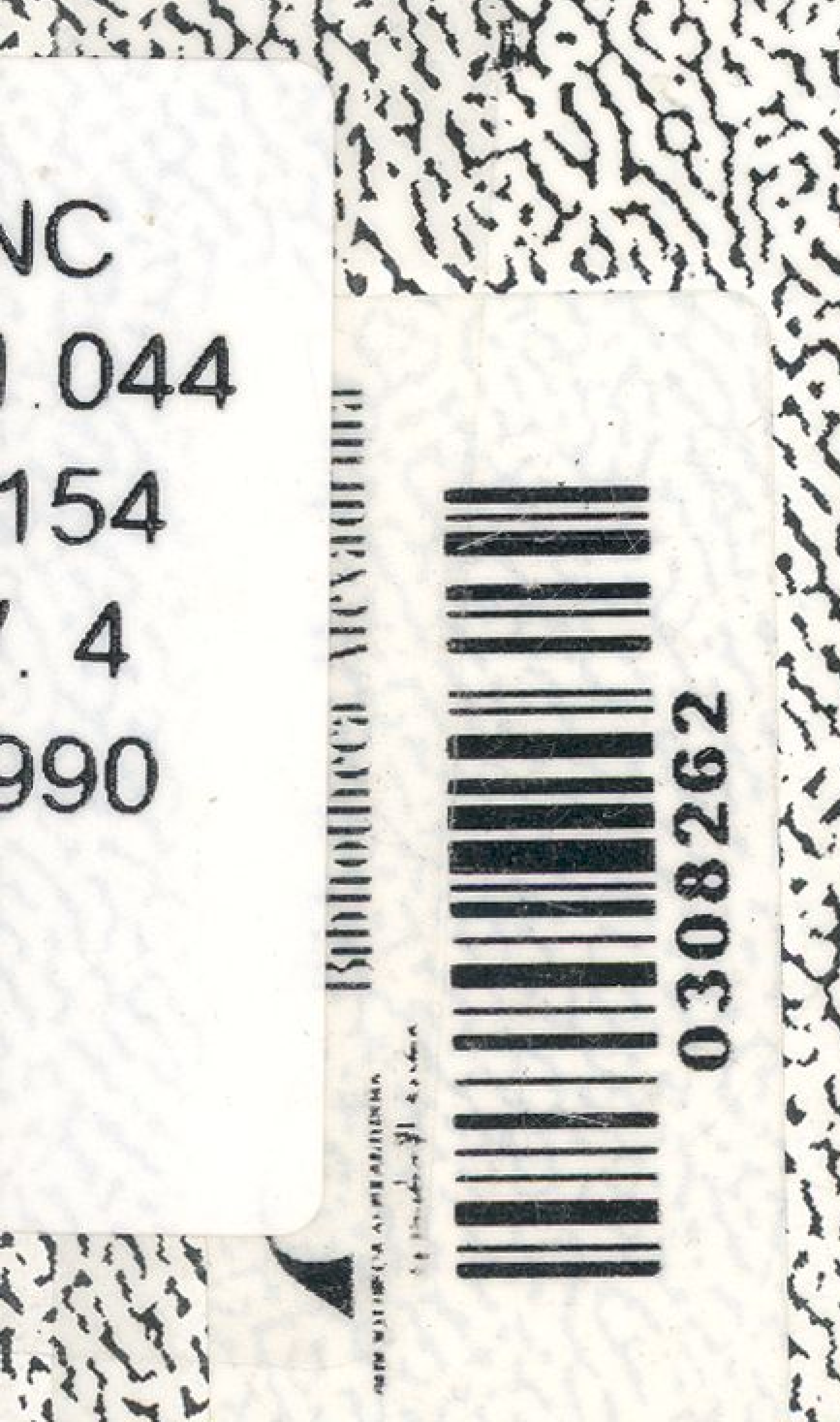
١ - إتمام موت الجميع فى **جسد المسيح** «إن كان واحد قد مات عن الجميع فالجميع إذاً ماتوا» (٢كو٥ : ١٤).

٢ - للقضاء على الموت والفساد بفضل اتحاد كلمة الله بالجسد، لأن الكلمة غير قابل للفساد- فوهب الجسد عدم فساد (لذلك قام من الأموات).

وهكذا أخذ الكلمة **جسدنا** - ليفدينا ويحمل الموت عنا ويكسر شوكته ويصالحنا مع الآب بدمه- ويشاركه فى كل شىء ما خلا الخطية فيصير أخاً لنا- ويدعونا **للتبنى** فنقول «أبانا الذى فى السموات» لذلك بالضرورة كان ينبغى أن يكون **إبن الله** إبناً للإنسان. لذلك «فالذى لا يعترف بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح» (٢يو٧).

« إن كلمة الله لم يكن محصوراً فى جسد ولكنه بالحرى يستخدم الجسد».

أثناسيوس الرسولى



الناشــــر



المراسلات : ص ب ١٧
الابراهيمية ـ اسكندرية